الإرهاب ومنطلقات فهم الامن

Terrorism and starting points Understanding Security

زهواء حسن كاظم

قسم الدراسات الاقتصادية

منذ أن دّون التاريخ، كان الامن هو الهدف الأدنى لمجتمع منظم ،واختلفت الثقافات في قيمها ،واختلفت الوحدات السياسية في مصالحها وتطلعاتها ولكن لم يصمد أي مجتمع لا يستطيع الدفاع عن نفسهُ ، سواء بمفرده او بالتوافق مع المجتمعات الأخرى .

في كل عصر: سعت المجتمعات التي تبحث عن الامن الى البحث عن طرق فعاله على نحو متزايد لمراقبة التهديدات، وتحقيق الاستعداد المتفوق، وممارسة النفوذ خارج حدودها، تمكين القوة –في حالة الحرب _ من اجل الغلبة. ونظراً لان الإرهاب من تقنيات الحرب، فانهُ يوظف من قبل أناس معينين لأغراض سياسية يمكن فهمها،وهكذا فان الإرهاب ومنذ التسعينيات مر بتحولات وانتقالات وسيرورات ، عّدت اساس المنطلقات الاتية:

1- منطلق التعريف بالتهديدات :" أظهرت احداث 11 أيلول 2001 كيف يمكن لضربة وحدة صاعقة من الناحية النفسية ، صادرة من مصدر غير مرئي ان تغير من نظرة القوى العظمى وسلوكها في العالم ".

الجدول رقم (1) ماهية التهديدات .

ما هو التهديد؟	**التهديد الرئيسي : يأتي من غير الدول أو الدول المفككة ، أضافة الى الدول ، هنالك تهديدات الهجمات الإلكترونية ، وتخريب أمدادات النفط ، شح المياه ، الأمراض .**
أين التهديد؟	**في الخارج وفي الداخل .**
ما هو ترتيب خطر التهديدات؟	**أسلحة الدمار الشامل بيد الدول وغير الدول، الارهاب (الكتروني- نووي)، تهديدات هجينة ، الامراض والأوبئة .**

ما هي الأدوات المتوفرة في الإستراتيجيات؟	**الخيارات الكثيرة ليست كلها بيد الحكومة، الخيار العسكري، الأمن الداخلي، المساعدات والالتزامات الدولية، القوة الناعمة، المبادرات الخاصة، تحالفات الراغبين.**
ما هي أهمية الحلفاء، هل هم شركاء؟	**السياسات بجوهرها متعددة الجوانب، وتتجاوز التحالفات العسكرية بمجال بعيد. اتفاقية الملآذ الأمن، آئتلاف المتطوعين، حوكمه عالمية، ترتيبات متعددة الأطراف (الآيكان).**
ما هو مدى تأثر المواطن؟	**في ظل مقاربة " امن المواطن"، أكثر بكثير من الحرب الباردة تأثر المواطن بالإجراءات الأمنية، اضافه الى المجتمع المدني.**

المخطط من اعداد الباحثة بالاستناد الى:

Gregory F.Treverton – Erik Nemth and SindjaSrinvasan , threats with threateners, occasional paper ,Rand Corporation, Santa Monica –California , 2012 , p.3 .

2- منطلق الغموض المفاهيمي : كانت مقاربة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج دبليو بوش 2001 يغلب عليها الطابع الديني، مع ما فيها من تأثير سياسي تعوي ، تتمتع بميزة تكتيكية تجمع مصادر التهديد المتعددة في صيغة واحدة ، بصرف النظر عما اذا كانت ذات صلة ام لا . وبدات الخطابات السياسية الامريكية إضافة الى المقالات الافتتاحية التي تتصدر المطبوعات الرئيسة نحو التركيز بشكل أساسي على الإرهاب.

يضاف الى ذلك: ان الجمع بين مفهومين منفصلين، الاستباق والوقاية ، الى تسهيل الأمور . أذ كان يراد به إبقاء باب نطاق التحرك مفتوحاً على مصراعيه لاختيار الأهداف بشكل تعسفي.ولان القوى العظمى تبحث دوماً عن صورتها في توجهات الراي العام المحلي اولاً والعالمي ثانياً نجدها شرعت بالتمييز بين حربي أفغانستان 2001والعراق 2003. ب "**حرب الضرورة** " و" **حرب الاختيار** ".

3-منطلق الملامح غير التقليدية للإرهاب : "العلم سوف يستمر في تعزيز قدرة البشر على القيام باعمال التدمير الذاتي التي قد لايمكن لمجتمع منظم ان يكون قادراً على منعها او احتوائها على الدوام " . حيث اخذ العلم يضاعف الوسائل، المتغيرات، والشعاع التدموي، وعدد اللاعبين القادرين على التخطيط لأعمال العنف .وهو ما جعل العلم يعمم قابلية التعرض للخطر حيث " سهولة الاستثمار في الشركات الاقتصادية العالمية،

العملات المشفرة، التجنيد الالكتروني، سهولة التنسيق الإستراتيجي بين الشبكات الإرهابية " لتغدو مسارات التوجه نحو الإرهاب تشكلاً ومعالجه نتاج مزيج معقد من الوسائل المتضمنة عوامل دفع / جذب متعددة . يصب في الثلاثية الامنية " **الادراك – بناء القدرات وتوظيفها " ما نلمسه في موجة الاغتيالات منذ العام 2011 لقادة الشبكات الإرهابية وحتى الان–تطويع التوقع لصالح صياغة الأهداف** " .

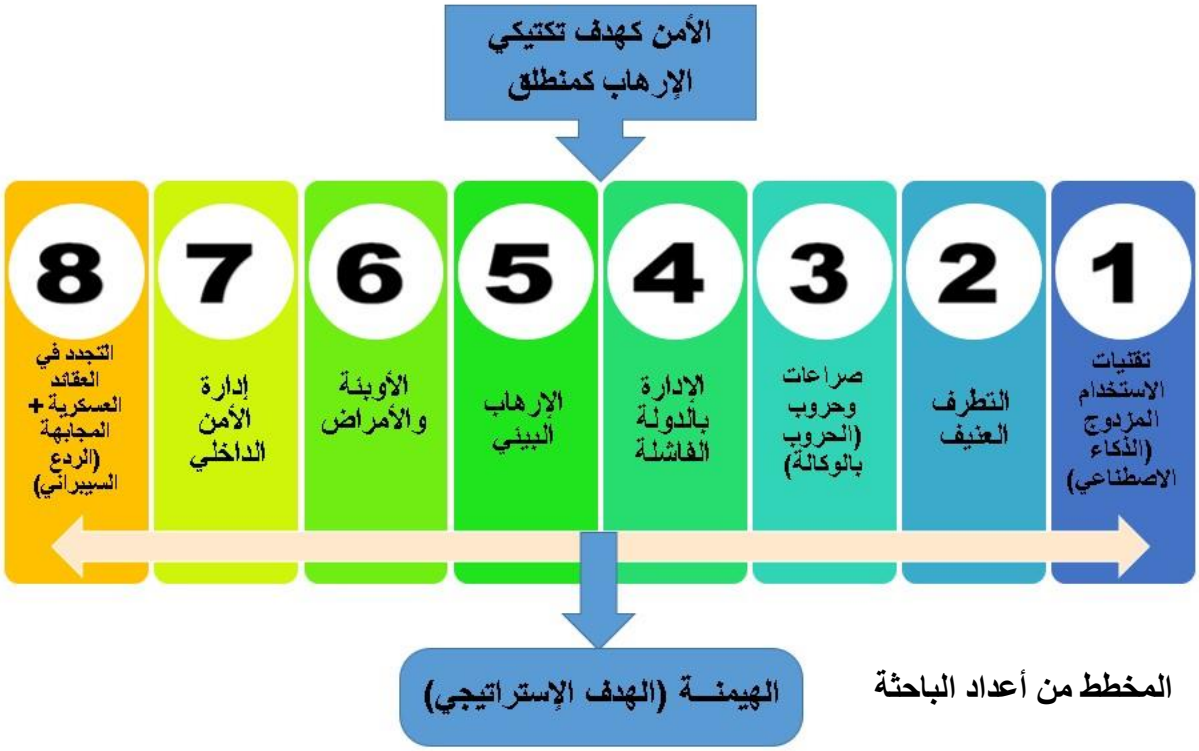

المخطط من أعداد الباحثة

4–منطلق الفرص: عبر الإرهاب عن فرصة مهمه من خلال تقييم البيئة الدولية حيث " السعي من اجل الحرية " ، الذي كان فرصة غير مسبوقة لوضع أسس السلام للمستقبل ، الى جانب انعدام العداوة بين القوى الكبرى منذ انتهاء الحرب الباردة والتي تعززت بالقيم المشتركة والخوف من الإرهاب ذلك ان " الصراع الإسلامي الجهادي .....برى القوى العظمى جميعها في جانب واحد " .

فيما بعد: عدّ الامن الفعال غير متحقق من دون الديمقراطية،ولا استقرار دون حريات، وهذا يعني ان الامن، لا يستقيم مفهوماً وواقعاً مع الاستبداد، وهو ما ابتليت به معظم الدول العربية التي تعرضت فيما بعد لانهيارها بمجرد انهيار نظمها السياسية الديكتاتورية كما هو الحال مع موجة الربيع العربي.

5- **منطلق اختلال العلاقة بين الامن الوطني وامتدادات أدائه الإقليمي:** ومرجع ذلك يكمن في اختلال النظر لما يستوجبهُ الواقع الإستراتيجي من إدارة فترة تصبح القوى الإقليمية عنصر تهديد، وترة عنصر تفاعل ليس لعدم وضوح الرؤية فحسب، بل لان بعض القوى – **العراق مثلاً**– وامنها مازال يتعرض لتهديدات إقليمية ودولية ، اتخذها الداخل غطاء له ، فالإرهاب تم استدعائه والقوى الإقليمية تبحث عن جدار صدّ منه ، والقوى الكبرى ترغب بالاثنين معاً .

6-منطلق القوى الكبرى والفكرة: لاحظ العالم النمساوي **فرويد** " **ان للعدوانية وظيفة من نوع اخر، فهي وسيلة تعزيز التلاحم داخل الجماعة او الامة، لا يمكن تصور امة تكون حدودها هي كامل حدود الإنسانية جمعاء، لان العدوانية ستكون عندئذ مكفوفة وبلا موضوعة تستهدفهُ، مما يعني انها سترتّد على الذات لتصبح هي هدف العدوان او التدمير .... يضيف فرويد " ان هذه الطاقة لابد من تفريغها خارج الذات، خارج الجماعة من اجل حفظ الذات وحفظ الجماعة، فالتوادّ والتراحم الذي يؤسس أواصر الروابط بين جماعة ما، لا يمكن ضمان استمرارهُ الا باختراع اخرين تكون وظيفتهم تلقي الضربات، ضربات العدوانية، والا ارتدت هذهِ الضربات داخل الجماعة مهددة بانقسامها وتفتتّها** ".

رأى المنظر السياسي والمؤرخ الفرنسي " **ريمون آرون** "" **في كتابهُ** " **الجمهورية الامبريالية** " **تتقلص قوة الدولة العظمى إذا توقفت عن خدمة فكرة ما** " يعاضدهُ في ذلك **برجنسكي** " **في عصر العولمة سيكون انعدام الامن الحقيقة الثابتة والسعي الى حماية الامن القومي الشغل الشاغل .....ان خاصية الازدحام الشديد والاعتماد المتبادل على التكنولوجيا في المجتمع الحديث ستوفر اهدافاً مغريه لشن اعمال مجهولة المصدر بالغة الضرر، يصعب احباطها، وهو وضع لا يستثني شيئاً او طرفاً او مجالاً** ".

7-**يشير** " **هرفريد مونكلر:** ان الرهان على التسلح الذي كان سائداً في ظل شروط تكافؤ القوى التقليدي حّول الى رهان بين الابتكارات التكنولوجية اولاً، والابداعات الإستراتيجية ثانياً. ولهذا السبب ذاتهُ فان المخاطر التي تحف بالامبراطوريات _اشارةً الى القوى الكبرى وتحديداً الولايات المتحدة _ لم تعد تكمن في خطر غزو أراضيها، بل صارت تكمن في الأعباء المالية في المقام الأول. بعد ان حول المرء "**الطرف الأضعف** " بهجومه

الإرهابي، مواطن القوة في الإمبراطورية الى مواطن ضعفها، تحول ضعفهُ هو نفسه الى قوة تفوق في حربه ضد الإمبراطورية. ليكون الإرهاب مغيراً لمعادلات:

- ✓ الربح والخسارة.
- ✓ الهجوم والدفاع.
- ✓ القوة والضعف.

8-منطلق المؤسسية: تمثل المؤسسة تجسيداً لفكرة او قيمة تتسم بقواعد حركية معينة هدفها تنظيم الوظائف وتوزيع السلطات والموارد. ذلك التجسيد الذي بقدر ما يفرض على صانع القرار من نمط مختلف تلامس الفضائل " **مرجعية القوانين والمؤسسات** " فانهُ يعطيه / يزودهُ بقدرة أكبر وسلطة من التأثير. يرى بها البعض مكنة إعادة توليف الاحداث من جديد. لذا تكرس كل دولة نظرية ما " **للتخطيط** "تهدف الى صورة للمستقبل من خلال فهم البيئة المحيطة بها، وربما التلاعب بها عند الضرورة، سعياً للتنبؤ بالمستقبل، مع التركيز على الموضوعية. تارة بصيغة خلق قوى التغيير وتارة أخرى بصيغة إدارة قوى التغيير. وقد رأى **كيسنجر** الى ان التقييم المنهجي للبنى الداخلية " **المؤسسات** " لابد ان تلامس ما اسماهُ مهمه التفكير الإبداعي / التخطيط الإستراتيجي. بالاستناد الى ركيزتين:

الركيزة الأولى: الوسائل.

الركيزة الثانية: الغايات.

الإرهاب في التسعينات = خلق.

الإرهاب بعد 2001= التوظيف.

الإرهاب بعد 2011= الإدارة. وهنا يعدّ التعاطي مع الإرهاب مظهر من مظاهر إدارة شؤون الدولة.

9- منطلق الامن الشامل: لقد ظهرت مقدمات هذا المنطلق / الأساس مع فكرة " ان الإرهاب كظاهرة قادرة على هيكلة ديناميات الامن السائدة في المجتمع الدولي لعدة عقود من الزمن "، ويتساءل **بوزان** عما إذا كانت الحرب ضد الإرهاب قد ترتفع إلى نفس المستوى كعملية أمنية شاملة؟ . تجسيداً لفكرة ان التأمين الكلي وحتى نقطة ما ينجح في تأطير القضايا الأمنية والاجندات والعلاقات على أساس النظام بأكمله، واستناداً الى بناءات عالمية للتهديدات / او الأشياء المرجعية. ويرجع بوزان سببين محتملين لهذهِ الأخيرة:

أحدهما: تزايد التأثر والتأثير .

والأخر: الإيمان بأيديولوجية عالمية .

توفر العلاقة بين الامننة الكلية والحرب على الإرهاب من خلال الإنذار الذي أطلقه لأول وهلة بوش " **اما أنتم معنا او ضدنا** " مرجعًا قويًا للمتخصصين، وتقدم ثلاث خيارات لتأمين السياسة المتعلقة بالإرهاب:

الخيار الأول: العزل: حيث تفضل الدولة اتخاذ تدابير ضد الاختراق من قبل الإرهابين وتعرض البنية الأساسية للهجمات الإرهابية على حساب القيم الليبرالية والتحرر الاقتصادي.

الخيار الثاني: القمع: او ما يعرف ب الطرف الحاد في عالم الإرهاب، نقل المعركة الى الإرهابيين في محاولة للقضاء عليهم من خلال العمل العسكري / الشرطي.يقوض هذا الخيار بعض القيم الليبرالية الأساسية التي تشكل أهمية قصوى في المجتمعات الديمقراطية.

الخيار الثالث: المساواة: افتراض ان العالم غير متساوٍ بطبيعته،وان الإرهاب ينبع من التفاوتات والظلم.

مع افتراض إن الخلل المحتمل الذي قد يسببه هذا في الأمد القريب قد يفوق النجاح الذي قد يحققه في الأمد البعيد.

وفي الختام: ان مشكلة الامن الوطني تتحول الى مشكلة امنية شاملة، حيث يلعب الافراد والدول والنظام دورًا فيها، وحيث تكون العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية بنفس أهمية العوامل السياسية والعسكرية. ومن هذا المنظور التكاملي تبدو المستويات والقطاعات أكثر فائدة كمنصات للرؤية يمكن من خلالها ملاحظة المشكلة من زوايا مختلفة وليس كمجالات مستقلة للسياسة والتحليل.

الجزء " الإرهاب " = الكل " الامن ".

الجزء " الامن بمستوياته" = الكل " الإرهاب كاستراتيجية ".